

الفصل الثامن يهود اليوم وعبريو الأمس

قلنا إن الصهيونية حركة سياسية جديدة تستمد فلسفتها من تاريخ اليهود والشرائع اليهودية ، وتستمد واقعا من تطور الحركة القومية في القرن التاسع عشر ، فهي كعقيدة حركة تبدو قديمة وهي كمذهب سياسي جديدة كل الجدة .

وكان هذا سبب البلبلة الفكرية بين دعاة الصهيونية في بداية نشأتها وأول قيامها ، فانقسم دعاؤها على أنفسهم ففريق غلبت عليه النزعة القومية السائدة فلم يربط بين الوطن القومي وبين فلسطين وارتضاه في أى مكان يسعهم في الأرض في شرق أفريقيا أو استراليا الجنوبية أو إحدى ولايات أمريكا الشمالية ، وكان هرزل رائد الصهيونية ومنظمها يرى أن الأرجنتين هي أحسن وطن لليهود تنمر فيه جهودهم وتنمو في رحابه العذراء قدراتهم ، وفريق رأى أن فلسطين هي أرض الميعاد منها خرجوا وإليها المآب ، فهي وطنهم الروحي والقومى لا يبغون بها بديلا ولا يرضون عنها متحولاً .

إلا أن اليهود لم ينسوا فلسطين قط ، وكان كل مشروع تنزبه رءوسهم ينتهى في غايته إلى فلسطين مهما تعددت الوسائل والأساليب وكثرت محاولاتهم لتحقيق تلك الغاية منذ قام «دافيد روبيني» أحد زعماء اليهود في القرن السادس عشر يدعو بني قومه إلى غزو فلسطين وانتزاعها قهراً

بتأييد أقطابهم في أوروبا ظنا منه أن تأييدهم كفيل بتدليل كل الصعاب أمامه ، ولم يكن مشروع « دافيد روبيني » غير شطحة خيال عارم ولدت ميتة ، ثم كان مشروع « موسى منتفيورى » ويقوم على شراء الأراضي وإنشاء المستعمرات الزراعية لليهود في فلسطين ، وقد حاول أن ينال اعترافاً بالوطن القومى لليهود في فلسطين وفاوض السلطان العثمانى فى ذلك كما فاوض محمد على إلا أن جهوده باءت بالفشل ولم ينل غير اعتراف من السلطان يخول لليهود حق حيازة الأرض فى فلسطين ، فأنشأ بضع مستعمرات زراعية فى القدس ويافا وصفد وطبرية تمولها تبرعات ضئيلة جاد بها بعض ثروة اليهود .

وكان لحركة موسى منتفيورى أثرها فى تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين فأنشئت بأموال بعض المتحمسين فى وسط أوروبا وشرقها مدرسة زراعية فى فلسطين تؤهل اليهود للحياة الزراعية التى تنتظرهم فى أرض الميعاد ، ولكن خريجيها ما لبثوا أن اجتذبتهم البلاد الأمريكية الرحبة فنزحوا إليها كما نزح بعضهم الآخر إلى مصر ، كما قامت هيئات وجمعيات أخرى بمثل ما قام به موسى منتفيورى أجدرها بالذكر « جمعية أحباب صهيون » التى أنشأت أول مستعمرة لها بالقرب من يافا .

وقد اتخذت هذه الجهود طابعاً علمياً لم يخجل قط من التيارات الفكرية العاصفة التى كانت تلهب خيال اليهود وتذكرهم بأرض الميعاد ، فموسى هس فى كتابه « روما وأورشليم » ، وليوبينسكى فى كراسته « التى نشرها بعنوان التحرر الذاتى^(١) » وجورج إليوت فى قصتها « دانييل ديروندا^(٢) » وذررائيل اليهودى المنبت صاحب صفقة قناة السويس فى روايته « دافيد

Leo Pinsker (1921- 1891): Auto-Emanicipation. (١)

George Eliot : Daniel Deronda (1876). (٢)

أكروا» ، وبيريز سمولينسكين في صحيفته ها أشكهار^(١) أو الفجر التي كان يصدرها في فينا كانوا جميعا في كل ما كتبه يلهبون حنين اليهود نحو أرض الميعاد ومحاربون حرباً عواناً في سبيل الإبقاء على العنصرية اليهودية والتآلف الفكرى لليهود ويرفضون فكرة الاندماج في العناصر الأخرى ، مع أن أحد هؤلاء الكتاب وهو بنيامين دزرائيل الذى وصل إلى رئاسة الوزارة البريطانية اعتنق أبوه إسحق دزرائيل المسيحية وعمد في ولادته مسيحياً ولكنه لم ينس أبداً أصله اليهودى بل كان يهودياً أكثر من اليهود .

ومما يجافى المنطق إزاء هذا التيار الفكرى العاصف والمحاولات الملحة لاستعمار فلسطين أن يفكر اليهود في وطن آخر غير فلسطين ، ولكن حركة التنوير التى قادها مندلسون في ألمانيا وبأس بعض زعماء اليهود من امتلاك فلسطين قد جعلهم يفكرون في وطن آخر غيرها ، وكان هرزل نفسه من أصحاب هذا الاتجاه فلم يكن يعنيه إلا أن يكون لليهود دولة تحميهم من الضيم والاضطهاد ما داموا لا يستطيعون وفاقاً مع غيرهم ، فقد كان يعتقد أن اليهودى مها ارتحل فإنه يحمل في كيانه النزعة التى تؤلب الغير عليه ، وأن اليهودى إذا ترك في سلام مدى جيلين لكان من المحتمل أن يندمج في البيئة التى يعيش فيها ، ولكن نزعته المشيرة تجلب عليه العداوة والبغضاء ، فالمشكلة اليهودية كما يراها ليست مشكلة دينية أو اجتماعية ولكنها مشكلة عنصرية فلو كانت لهم دولة يلودون بها لجنبتهم العيش في بيئات تجفهم ولا يستطيعون هم الاندماج فيها .

وناقش هرزل في كتابه «الدولة اليهودية» كل ذلك وطالب ملحا دول العالم المتحضر بحل المشكلة اليهودية وذلك بمنح اليهود رقعة من الأرض

Perez Smolenskin (1842-1885) : Ha-shachar. (\)

المعمورة تكون لهم السيادة عليها وتكفى غلتها مطالب عيشتهم ، ولم يعين هذه الأرض وإنما ترك أمر تعيينها للرأى العام اليهودى وكان يميل هو نفسه لاختيار الأرجنتين .

واجتمع ممثلو اليهود فى بال عام ١٨٩٧ فى مؤتمر عام لأول مرة وظهر أن الاتجاه العام لا يبغي بفلسطين بديلاً ، إلا أن هزل كان يؤمن بدولة يهودية علمانية أكثر مما يؤمن بدولة تستمد أصولها ومقوماتها من نبوءة دينية ، ولكنه نزل على إجماع المؤتمر واستجاب له ووضع كل جهوده لتحقيق ذلك فاتصل بكافة الأوساط والدول التى يمكن أن تعينه على ذلك ، ولما لم يجد أملاً قريباً يدنو به من غاية اليهود فى فلسطين بعد أن انتهت مفاوضات مع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٢ بالفشل ، اتجه إلى انجلترا واقترح أن تخصهم بوطن فى سيناء أو فى قبرص ولعله كان يرمى إلى تحقيق غرضه الأسمى بقيام دولة يهودية فى أى مكان ولا يفضب اليهود فى الوقت ذاته حين يرون أنفسهم قريبين من أرض الميعاد . ولم يجد هذا المطلب هوى فى نفوس الإنجليز واقترح تشمبرلن وزير المستعمرات أن يقطع اليهود مستعمرة فى شرق أفريقيا ، ولم يجد الاقتراح هوى فى نفس هزل ، إلا أنه بعد مذبحه اليهود فى مدينة كيشينف الروسية قبل هذا العرض ، وثار به اليهود لذلك فى المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقد عام ١٩٠٣ وهو آخر مؤتمر حضره هزل قبل وفاته فى العام التالى ، وأعلن هزل أنه لن يرضى بفلسطين بديلاً ، ولكن القرار التهاى يرفض هذا العرض لم يصدر إلا فى المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى بال عام ١٩٠٥ أى بعد ذلك بعامين ، وصدر القرار مشفوعاً بشكر الحكومة البريطانية وأن اليهود يحمدون لها كل مسعى تقوم به فى سبيل الوطن القومى فى فلسطين أو ما يجاورها من أراض .

وهكذا غلب تراث اليهود الزمنى وتآلفهم الفكرى فالتفتوا جميعاً حول

الأمل في وطن قومي في فلسطين ونبذوا كل أرض عداها ، وتحوّلت
العنصرية اليهودية كما كانت طوال تاريخها إلى حركة قومية جارفة تفتح
اليهود بنيران التعصّب والكراهية والعداء لكلّ من يقف في سبيلهم لتحقيق
أمل العودة إلى فلسطين ولفحت هذه الكراهية كثيراً من الأفراد والشعوب
والدول وكان لها ضحاياها بين هؤلاء جميعاً ، فحين يتسوا من استجابة
الدولة العثمانية لمطالبهم في فلسطين تسلّوا تسللاً خفياً إلى حركة الاتحاد
والترقى التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وحملوها في
التيار الذي انتهى بتحطيم الجامعة الإسلامية والقضاء على الدولة العثمانية
وفرض الانتداب الأوربي على البلاد العربية وتنفيذ وعد بلفور في أعقاب
الحرب العالمية الأولى . وما يذكر أن حايين ناحوم أفندي حاخام مصر
والدولة العثمانية كان عضواً في جماعة الاتحاد والترقى . ولما أعلنت عليهم
ألمانيا حرب العنصرية تألبوا عليها في كافة أرجاء الأرض وجعلوا من
كراهية اليهودية كراهيةً للسامية بأسرها حتى غدا نعت السامية في كثير
من الأذهان نعتاً لليهودية ، ولم تسلم ألمانيا بعد أن انتهت الحرب العالمية
الثانية باندحارها ، من انتقام اليهود ، بل نزح اليهود في أعداد غفيرة إلى
ألمانيا في تعال وكبرياء وصلف حتى يشعروا بالألمان بالذلّ والمهانة .

وتحمل الصهيونية اليوم على العرب وتصورهم شعباً بدائياً متأخراً
وتتسلّل بمؤامراتها وخبثها إلى قلب العالم العربي للقضاء على كلّ حكم
وطني وكلّ بادرة للوحدة العربية والتضامن العربي .

ولم يشدّ على إجماع اليهود في تأييد الحركة الصهيونية غير قلة من
الثراء خافوا على مصالحهم مما يمكن أن ينسب إليهم من ازدواج الولاء
واحتمال بعث العداء التقليدي لليهود ، ولكن النفوذ اليهودي كان قد
استشرى في كثير من دول أوروبا وبخاصة في انجلترا بعد أن تمّتوا بحق

المساواة مع غيرهم من المواطنين ، وما لبثت تلك القلعة التي كانت تعطف على الحركة الصهيونية سرّاً أن جازت بتأييدها للصهيونية بعد إصدار وعد بلفور في فبراير ١٩١٧ .

وفي فلسطين خشى يهودها أن يجر النشاط الصهيوني عليهم غضب العرب والدولة العثمانية ، كما خافوا على مصالحهم من تدخل السياسة الصهيونية وما يحتمل أن يجره هذا التدخل من حدّ لحرية التعامل مع جيرانهم العرب مما يعود عليهم بالخسارة واليوار ، ولكن هؤلاء ما لبثوا أن غدوا بدورهم أشدّ أنصار الصهيونية بعد صدور وعد بلفور فاستقبلوا اللنبي على أبواب بيت المقدس حين طرقتها جيوشه في ٨ ديسمبر ١٩١٧ بأكاليل الغار وانضوا تحت لوائه يطاردون الأتراك حتى قيل كما تذكر المصادر الصهيونية أن الذين اشتركوا في مطاردة العثمانيين تحت إمرة اللنبي كانوا ألفاً من المتطوعين عدا أربعة آلاف متطوع من يهود البلاد الأخرى حاربوا في ميادين القتال المختلفة وهم يحملون شارة داود .

وغدت الصهيونية بعد الانتصارات المتوالية التي أحرزتها ، عقيدة اليهود في كلّ أرجاء الأرض لا يشذ عنها ولا يخرج عليها يهودى واحد إلا من حيث العنف والاعتدال في تنفيذ سياستها ، وكلّ هؤلاء اليهود الذين يقفون أحياناً موقف العطف على العرب لا يبغون من وراء ما يبذونه من عطف إلا تخفيف حدّة العداء نحو اليهود في كثير من البلاد العربية التي مازالت تضمّ جاليات يهودية كبيرة ، وهم يفرقون لهذا بين الصهيونية واليهودية ويحملون غير مؤمنين على الصهيونية ، ولكنهم لا ينبذون إطلاقاً فكرة العودة إلى فلسطين وقيام الدولة اليهودية ، وكل ما ينشدونه من عطف على العرب أن يرضى العرب بقيام إسرائيل ومحلّ الوفاق محلّ الخصومة بين أبناء العمومة كما يقولون .

ولعلنا ندرك بعد هذا العرض القصير كيف قامت الصهيونية كما قلنا على فلسفة تستمد أصولها من تاريخ اليهود وشريعتهم الدينية ، وتستمد واقعها من معالم الحركة القومية في القرن التاسع عشر ، فجمعت بين نقيضين لا يمكن الجمع بينهما .

فالقومية لا تقوم على العنصرية ولا تقوم على حق ديني ولا تقوم إلا في ظل وطن تنتمي إليه الجماعة انثناء واقعيًا بمعنى أنها تعيش فعلاً وتزاول نشاطها الاجتماعي والاقتصادي والإنساني فوق أرضه ، وتشعر حياله بأنه ملك خالص لها لا يشاركها فيه غيرها .

والقومية الصهيونية أو الإسرائيلية أو اليهودية مهما تعددت أسماؤها ، غير هذا كله ، فهي تقوم على العنصر ، أو بمعنى أصح السلالة ، فكل يهودي كما يقولون هو من نسل إسرائيل أو يعقوب ولا نعرف أمة من الأمم تنتمي من حيث السلالة إلى رجل واحد ولا نعرف قومية من القوميات تتكون من عنصر إنساني واحد ، فمن المحتمل أن تنتمي إلى جنس من الأجناس المعروفة : القوقازي والمغولي والحامي - في اصطلاح علماء الأجناس - لغلبة الدماء القوقازية أو المغولية أو الحامية فيها ، أما العناصر والسلالات فقد اختلطت فيها الدماء على مر العصور اختلاطًا كبيرًا وإن احتفظت بسمات جنسها الأصلية .

وينتمي اليهود كما ينتمي العرب إلى السامية وهي أحد فروع الجنس القوقازي الذي تنتمي إليه الشعوب الهندوأوربية أو الآرية أيضًا فيما يقولون ، ولم تخل دماء العرب أو اليهود من الهجنة ، بل إن الجنس القوقازي هو أكثر الأجناس هجنة دماء يفوق في ذلك الجنس المغولي والحامي .

فاتناء اليهود إلى إسرائيل أو يعقوب خرافة إلا إذا كان الانتناء إلى

دين إسرائيل ، وثمة فارق كبير بين الانتفاء إلى الذرية والانتفاء إلى العقيدة . فالانتفاء إلى العقيدة لا يعنى إطلاقاً أن معتنقيها من سلالة واحدة ، أما الانتفاء إلى الذرية فإنه يعنى أن كلّ يهودى هو من نسل إسرائيل وليس ثمة حق لغير نسله فى اعتناق الديانة اليهودية . ولقد كانت بعثة الأنبياء قبل عيسى ومحمد كل إلى قومه ، ولم يكن هذا ليعنى أن الهداية كانت قاصرة على هؤلاء القوم وحدهم ، فإن «دينه» الابنة الوحيدة ليعقوب بين أولاده الاثنى عشر الذين تفرعت منهم أسباط إسرائيل ، حين اغتصبها ثم تعلق بها شكيم ابن حمور الحوى فخطبها إلى نفسه ، شرط عليه إخوتها أن يختتن هو وقومه كما يختتنون «فقالوا لها لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أغلف ، لأنه عار لنا . غير أننا بهذا نواتيكم . إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً . وإن لم تسمعوا لنا أن تختنوا تأخذ ابنتنا ونمضى»^(١).

فشرط الختان كان هو كل ما طلبه بنو يعقوب من شكيم ابن حمور الحوى وقومه ليكون منهم وكان الختان والإيمان بالرب دون الأصنام هما كل قواعد ديانة إبراهيم قبل الشريعة الموسوية ، ومغزى هذه القصة أن دين إبراهيم لم يكن قاصراً على قومه وإنما كان متاحاً لكل من يعتنقه من غير قومه . ولو لم يغدر بنو يعقوب ببني حمور الحوى لأصهروا إليهم ودخلوا فى ملتهم ، فإن شكيم كان قد دخل بدينه قبل أن يخطبها مما أغضب إخوتها «وأق بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا وغضب الرجال واغتاطوا جداً لأنه صنع قباحة فى إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب . وهكذا لا يصنع»^(٢) . وغضب يعقوب حين سمع بغدر بنيه ببني حمور

(١) تكوين ٣٤ : ١٤ - ١٧ .

(٢) تكوين ٣٤ : ٧ .

الحوى حين قتلوهم وخرجوا بأختهم دينة من بيت شكيم بعد قتله .
 وحين جاءت ملكة سبأ إلى سليمان « لتمتحنه بمسائل » وأعجبت
 بحكمته أعلنت عن إيمانها بربه « ليكن مباركا الرب إلهك الذى سر بك
 وجعلك على كرسى إسرائيل^(١) ». (وصدھا ما كانت تعبد من دون الله إنها
 كانت من قوم كافرين. قيل لها ادخلى الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت
 عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت ربّ إني ظلمت نفسى
 وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين^(٢)).

فاليهودية لم تكن دين بنى إسرائيل وحدهم بل دين كل من تستهويه
 ويعتنتها ، ولقد عمد اليهود فى فترة من فترات تاريخهم إلى التبشير بدينهم
 بين غيرهم وكان ذلك حين طغت الثقافة الهيلينية وخشى اليهود أن تغمرهم
 بفيضها الجارف فأخذوا يبشرون باليهودية لإعلاء شأنها أمام طوفان
 الهيلينية ، ويقال أن تشتت اليهود قد عمل على انتشارها ، ولا ريب أن
 اليهود الذين بيعوا فى أسواق الرقيق فى العهدين اليونانى والرومانى قد
 حملوا معهم تعاليم دينهم ، ولعلها استهوت بعض سادتهم فاعتنقوها .
 وإذا تتبعنا انتشار الديانة اليهودية نرى أن معتنقيها يختلفون اختلافاً
 بيناً فى السحنة والملامح والصفات البدنية مما يدل على أنهم ينتمون إلى
 سلالات وعناصر متفرقة فى يهود اليمن أقرب شبهاً إلى أهل اليمن منهم إلى
 اليهود الآخرين ، وكذلك يهود أسبانيا وشمال أفريقيا واليهود الألمان .
 والمعروف أن شعباً يهودياً عاش فى الحوض الشمالى لنهر الرين قبل ميلاد
 المسيح بقرنين أو ثلاثة^(٣) ، ومنه تفرعت مجموعات أخرى فى بولندا وفى
 روسيا الغربية ويعرف يهود هذه السلالة بالأشكنازيم ويتكلمون اليديش

(١) الملوك الأول ١٠ : ١ - ٩ .

(٢) سورة النمل : آية ٤٣ - ٤٤ .

(٣) دكتور محمد عوض محمد : المسألة الصهيونية فى نظر العلم ص ١٥ .

لهجة أبناء الإقليم الشمالى الغربى من ألمانيا ، ويكتبها اليهود بالحروف العبرية وتختلف بعض الاختلاف عن اللهجة الألمانية الحديثة .
ودلالة هذا كله أن اليهودية لا تعنى شعباً أو سلالة بل تعنى ديناً كغيره من الأديان المختلفة التى طوت عقائدها كثيراً من الأجناس والسلالات والعناصر .

ويزعم اليهود أن دينهم قاصر عليهم وحدهم لم يبشروا به ولم يحاولوا نشره بين الشعوب الأخرى ، وهو زعم ينفيه هذا الانتشار الواسع للديانة اليهودية بين شعوب مختلفة وفى بقاع شتى . ولكن اليهود بهذا الزعم يحاولون عبثاً إثبات أن اليهود يمثلون سلالة نقية تنتمى إلى إسرائيل أب الأسباط ، صان نقاءها أنهم كما يقولون لم يصهروا إلى غيرهم ولم يصهر غيرهم إليهم ، ولم تكن لهم علاقات جنسية مع غيرهم من الشعوب الأخرى ، وكلنا يعلم ما تعرض له بنو إسرائيل من حروب كان التسرى واستباحة الحرمات بعض معالمها ، بل مازلنا نرى إلى اليوم أن الجيوش الغربية ترك ما يدل عليها من سمات جنسية فى الشعوب التى تقيم بينها سواء بالزواج الشرعى أو غيره ، ولقد تركت القوّات الزنجية التى حاربت فى أوروبا إلى جانب الحلفاء فى الحربين الأخيرتين ما ينم عنها فى كثير من أطفال السفاح . بل إن الأعداد الغفيرة التى بيعت من اليهود فى أسواق الرقيق فى العهدين اليونانى والرومانى قد اختلطت دون شك بسادتها ومستعديها . وفى أسفار العهد القديم ما يشير إلى تحلل اليهود من فريضة تحريم الزواج من غيرهم فقد تزوج سليمان من مصرية كما تزوج بعدد كثير من النساء الغربيات وتزوج موسى من صفورة ابنة يثرون كاهن مدين ويوسف من مصرية هى اسنات ابنة كاهن أون وأنجب منها ولديه منسى وأفرام وعلى غرارهم كان كثير من بنى إسرائيل يتزوجون من غربيات ولا ريب أن كثيرات من الإسرائيليات قد سلكن مسلك رجالهن

فتزوجن من أغراب ، وحين عاهد عزرا اليهود على ألا يتزوجوا من غريبات خرج كثيرون على العهد وكان من بينهم حفيد الكاهن الأكبر الذي تزوج من سامرية . فالزواج المختلط كان شائعاً في بني إسرائيل وظلّ شائعاً بين اليهود طوال تاريخهم مما ينفي عنهم نقاء السلالة وثبت خرافة الشعب المختار ، الموعود بالحكم والسيادة على العالم والعودة إلى أورشليم .

ويرى « ربلى »^(١) في كتابه « أجناس أوروبا » أن اليهود في أوروبا قد امتصّوا كثيراً من الدماء المسيحية عن طريق كثير من الصلات الجنسية غير المشروعة فقد كانت القوانين في العصور الوسطى تمنع وجود أنثى مسيحية في بيت يهودى للخدمة أو لغيرها من الشئون حتى لا يقع اتصال جنسى بين المسيحيات واليهود مادامت الكنيسة تحرم الزواج بينهما ، ولكن القانون لم يحل إطلافاً بين وقوع المعاشرة بين اليهود والمسيحيات أو بين المسيحيين واليهوديات مما أدى إلى امتزاج الدماء ، ثم أن القانون كان لحماية الحرائر ، ولم يكن للإمام من قانون يحميهن . وينتهى ربلى إلى القول بأن تسعة أعشار يهود العالم لا يمتون إلى اليهود الأولين بأى شبه ، وأن القول بنقاء الدماء اليهودية حديث خرافة ، وستشهد ربلى بقول « رينان » من أن اليهودية لا تعنى جنساً معيناً وليس لها دلالة انثربولوجية لا في أوروبا ولا في حوض الدانوب على الأقل ، ويشير كذلك إلى ما قاله « لمبروزو » من أن اليهود أدنى إلى الجنس الآرى منهم إلى الجنس السامى في الوقت الحاضر .

فاليهودية دين وليست جنساً ، اعتنقها على مرّ العصور أشتات من البشر يتباينون في اللون والسحنة والملامح وينتمون إلى أجناس مختلفة

W.Z. Ripley : Races of Europe P. 392. (١)

وشعوب عديدة ، ومن عبث القول أن يصدق عليهم نقاء السلالة وسلامة العنصر .

ولقد قرّرت هذه الخرافة ، خرافة الشعب المختار والسلالة النقيّة والانتباء إلى أسباط إسرائيل في أذهان كثير من اليهود المؤمنين فسيروا بعوثهم في العصور الوسطى وجاب رحّالتهم بقاع الأرض بحثاً عن الأسباط العشرة المفقودة ، وهى القبائل التى كانت تعمر مملكة إسرائيل قبل أن يبدها سرجون الثانى ملك آشور ، وظنّ بعض هؤلاء الرحالة أن يهود الفلاشا فى الحبشة هم أحد هذه القبائل المفقودة .

إلا أن عالماً من علماء اليهود هو « فردريك هرس »^(١) فى كتابه « الجنس والحضارة » يرى أنه من العبث التفريق بين اليهود والجنس الآرى ، فإن القرابة بين الاثنين لا تحتل الشك ، فعلى مرّ العصور امتصّ اليهود كثيراً من الدماء الغريبة واعتنق اليهودية كثير من الأجانب يونان ورومان فى القرنين الأوّل والثانى قبل الميلاد وغيرهما من السلاف والألمان فى العصور الوسطى بالرغم من كل العقبات التى كانت تحول دون ذلك فاليهود السلاف واليهود الألمان لا يمتّون إلى يهود فلسطين بصلة أو شبه . فمن العبث الادعاء بأن عبريّى الأمس هم يهود اليوم ، فإذا سلمنا جدلاً بأن الوعد الإلهى لذرية إبراهيم بوراثنة أرض الميعاد قائم كما يقول اليهود ، فإن اليهود من ذرية إبراهيم لم يعد لهم وجود بعد أن تمتلثهم شعوب عديدة وهضمتهم بيئات مختلفة وسرت إلى دمائهم دماء غريبة تفوق ما يحملون من دماء أجدادهم إن كان ثمة دماء باقية فى عروقهم من دماء العبريين القدامى .

ومن العبث ادعاء وطن يحكم الإرث لسلالة لم يعد لها وجود إلا إذا

Friedrich Herz : Race and Civilisation : P. 313. (١)

سَلَّمنا بأن الإِراث للعنصر والسلاطة ولس البركة والرِسالة فإذا كان الإِراث للبركة بركة إبراهيم فقد حَلَّت بركة إبراهيم في كلِّ من حمل رسالته من الأنبياء وآخرهم عيسى ومحمد ، وإذا كان الإِراث للرِسالة فقد آمن برسالة إبراهيم كلُّ مسيحي وكل مسلم مما ينتفى معه كلُّ حقٍّ لليهود من غير أبناء فلسطين في ادعاء فلسطين وطنًا ، وحقَّ يهود فلسطين فيها هو حق قائم على التوطن والانتباء إلى البلاد شأنهم في ذلك شأن من يقيم فيها من المسيحيين والمسلمين . وقد عاش يهود فلسطين إلى جوار العرب من المسيحيين والمسلمين عيشة آمن وسلام طوال تاريخهم لم يرع فلسطين خلال هذا التاريخ ما يروعاها اليوم على يد الصهيونية الفاشمة .